التقديم :

https://nidaulhind.blogspot.com

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)



نظرة اجمالية على شعراء اللغة العربية الهنود

للدكتور حامد على خان

سعدت الهند باللغة العربية فى القرن الأول الهجرى، عند ما حمل المسلمون لواء دعوة الاسلام الى شواطئ الهند، وتوثقت العلاقات التجارية المشتركة المتبادلة بين العرب والهند، ومن الناحية الاخرى هاجرت الأسر العربية كنوائط وكوكن الى كجرات ومالابار وغيرها من المناطق الهندية واستوطنوها، وحينذاك دخلت اللغة العربية فى الهند وتوغلت فيها، ثم فتح المسلمون السند بعام ٩٣ ﻫ وصارت احدى ولايات الدولة الاسلامية الكثيرة وقامت بدور كبير فى نشر اللغة العربية بالهند، وهناك أمثلة وبراهين تلق أضواء على أن اللغة العربية بدأت تدرس فى الهند منذ القرن الثانى الهجرى، ولاتزال منذئذ تتقدم نحو الامام والرقى والازدهار وكان الشعر والنظم مع النثر جنبا الى جنب، وقد تاثر الشعر العربى فى الهند بامور متنوعة مختلفة نظرا لأسباب ونتائج طبيعية.

ويجب ان يلاحظ اولا لدراسة الموضوع الحقائق الاساسية التالية ليقدر نوع تلك الأمور المتنوعة:

(١) كان شعراء اللغة العربية الهنود علماء اولاً، ثم شعراء.

(٢) أكد الاسلام حصول العلوم الدينية وقرره واجبا دينيا فكان الغرض الاساسى من تعلم اللغة العربية هو حصول العلوم الدينية لانها كانت أداة للدين وعلومه،

(٣) كانت اللغة الفارسية لغة رسمية فى الهند، كان علماء الهند يحذقون اللغة الفارسية قبل أن يعنوا باللغة العربية وعلومها، وكانت لغة اكثر

شعراء اللغة العربية الذين هاجروا الى الهند من البلدان الاسلامية الأخرى اللغة الفارسية .

(٤) الهند بلاد كبيرة واسعة الارجاء حتى انها تسمى بالقارة الصغيرة ولكل منطقة منها لغة مستقلة مختلفة عن غيرها ومازال المواطنون الهنود يسمعون اللغات المحلية ويتكلمون بها ويعيشون فى بيئتها ويترعرعون بين أحضانها .

ويمكن ان يوزع شعراء اللغة العربية الهنود من ناحية التأثير اللغوى والفنى والأدبى فى شعرهم الى طبقات أربع ، وسيكون حديثنا عن كل واحدة فى المقال :

الأولى : شعراء السند فى العصر الأموى والعباسى .
الثانية : شعراء السند بعد انقراض الدولة العربية الى القرن العاشر الهجرى .
الثالثة : الشعراء الذين وافتهم المنية بين القرن الحادى عشر الهجرى الى الآن .
الرابعة : الشعراء المعاصرون ، ولعل الكلام عنهم قبل الأوان .

الطبقة الأولى :

نشأ شعراء السند بين العرب والعروبة وترعرعوا مشبعين بروح عربية وذوق عربى فى أفكارهم ومبادئهم بكل ميدان من ميادين الحياة ، فجاءت خصائص شعرهم وكلامهم وخصائص كلام معاصريهم المولدين منسجمة متساو[ية] لا تختلف اختلافا ما ، نجد قصائد وأبيات شعراء السند متنوعة ، شتى الجوانب والافكار كقصائد الشعراء العرب ، ولكن الذى يؤسف له بأن ذخائر الشعـ[ر] لهذه الطبقة قد ضاعت لحوادث الزمن ، على ان القدر اليسير الذى عـ[ثر]

عليه يبرهن على أن شعراء السند لم يكونوا أضيق باعا وأقل صيتا وتأثيرا من الشعراء العرب المعاصرين كما يبدو من التصريح التالي[١] :

«أعتقد أن هارون بن موسى الملتانى اكبر شعراء الهند وأعظمهم ويدل على عظمته ومكانته الرفيعة أواصر ودية صميمة مع الشاعر العربى الشهير «كميت» وقد ذكر الجاحظ ايضا بأنه كان أعظم شاعر فى الملتان ومناطقها المجاورة ، وقد ذكر فى كتابه «الحيوان» أربع قصائد وستا وثلاثين شعرا فى وصف الفيل فحسب ، ولم يعثر الآن على ما سواه من شعره ، ولو وصل الينا ديوانه وشعره لحصلنا على معلومات مفيدة نافعة من النواحى العلمية والحضارية والثقافية والاجتماعية لذلك العصر من الهند ، وقد عرفت مائة وأربع وثلاثون شعرا فقط من أشعار أبى عطاء السندى وهى تحتوى مواضيع متنوعة مختلفة الجوانب ، نلمح منها مواهبه الادبية ، وصيته اللغوى والشعرى ومكانته المرموقة العالية المرضية المحببة لدى عامة الشعب وخاصته ، ونستطيع أن نقول بكل قوة بأن أبا عطاء السندى كان يحتل مكانة عظيمة رفيعة فى الشعر والادب ، انه استطاع بذكاءه الوقاد وعظمته الشعرية ومحاسنه الادبية أن يتحرر من أغلال العبودية والتقليد وقيودها المرهقة ، وينال صيتا وحبا جما حتى اصبح للخلافة الاموية شاعرا مليكا ، ولما سقطت الدولة الاموية أبدى ابوجعفر المنصور الخليفة العباسى عداءه وكراهيته لانتماءه الى عرش الدولة الأموية فقام ابو عطاء السندى وهجا الأسرة العباسية جهرا بين يدى الناس بكل شجاعة وهمة وبطولة نادرة .

---

(١) نسى المولف ذكر القائل بهذا التصريح .

كانت بينه وبين حماد الراوية الشاعر النابغ والاديب الفذ صداقة وثيقة ، وقد اشتهرت نقائض عصرية بينه وبين الشاعر الشهير أبى دلامة ويدل على نبوغه واقتداره على الشعر والادب بأن أبا تمام قد اختار من أشعاره لحماسته ومراثيه فى ديوانه الحماسة .

وقد روى قصائد أبى الضلع السندى وأشعار شعراء عصره الكبار كدعبل وابى هفان وعبد الصمد بن موسى ، وذلك برهان ساطع على أنه كان شاعرا كبيرا ذا مكانة عالية ، وقد اختار ابن الجراح فى كتابه «الورقة» ثمانية وستين شاعرا ومنهم أبو الضلع السندى ، اختار عشرة أبيات من قصائده الخمس ، وكذلك اعترف الجاحظ لشعر ابراهيم بن السندى بن شاهق وأعجب بأدبه وامتدحه ، وذلك يبرهن على أن ابراهيم كان شاعرا عظيما ، وان شعر ابى‌حا أديب الديبلى نموذج حسن للشعر العربى فى عصره .

كان أبو الفتح محمود بن حسين بن شاهق شاعرا هنديا ، وكان يلقب بـ «كشاجم» و «ريحانة الادب» ، واللقب الاول مجموع الحروف الاولية من خصائصه الخمسة . الكاتب ، الشاعر ، الاديب ، الجواد ، والمنجم ، كان يرى كشاجم ان بين الادب والحياة علاقة وثيقة متينة ، لذلك كان يحب الشعر الطبيعى ، ويرتجل الشعر والقصائد ، وقد طبع ديوان شعره باسم «ديوان كشاجم» من بيروت ولكنه لم يكتمل ، ويوجد هنا فى كتب الادب أشعار كشاجم لم تذكر فى هذا الديوان ، والديوان يدل على أن أبا الفتح كان شاعرا كبيرا موهوبا ، وشعره على مواضيع مختلفة متنوعة .

الطبقة الثانية

ولد شعراء هذه الطبقة فى الهند ، نشؤا فى ربوع الهند وترعرعوا

بين أحضانها، ولم يسعدوا بمصاحبة العرب، وقد ضاع القسم الكبير من شعر هذه الطبقة، والقليل الذى عثر عليه يدل على موهبتهم الشعرية الطبيعية، وكانوا يقرضون الشعر فى كل ميدان من ميادين الشعر .

ان شعر هذه الطبقة لايوازى شعراء العرب المعاصرين لأن الملكة اللغوية لأية لغة لا يمكن حصولها من محض الكتب، ولا يمكن الاحاطة على الاحاديث اليومية والنكت والمحاورات بهذا الشكل، لذلك لا يستبعد ان وقعت أخطاء فى شعر هؤلاء الشعراء الذين كانوا على قسط وافر من العلم والفضل والكمال، كان الشعر العربى نصب أعينهم، وحاولوا أن يقلدوه ويحذوا حذوه ولكن الفرق بين بينهما. كان بين هؤلاء الشعراء رجال يمتازون بعلمهم وفضلهم، ونحن نذكر هنا بعض الأفاضل منهم :

عطاء بن يعقوب الغزنوى : وقد ذكر ياقوت الرومى والعوفى أشعاره وهى تحوى على مدح النبى صلى الله عليه وسلم ومدح الملوك والأمراء، والحكم والامثال، والنصائح والتوجيهات، والآلام والاحزان وغيرها وتدل هذه القصائد على موهبته الشعرية وجزالة الألفاظ والتعابير الجميلة الآخاذة ومحاسنه الشعرية والمعنوية .

ويضرب بصنائع مسعود سعد سليمان اللاهورى الشعرية الامثال التى تبرهن على قوته الشعرية وموهبته النادرة، وكان له ديوان فى الشعر العربى ولكنه ضاع .

وحسن الصاغانى لا يحتاج الى تنويه وتعريف به، كان بجانب علمه وفضله وسعة باعه فى العلوم الدينية عارفا ولوعا بالأدب العربى لا مثيل له

وقد تلقى العالم الاسلامى كتابه «مشارق الأنوار» بالقبول وألفت له شروح وهوامش وقرر فى مناهج التعليم، من ناحية، والف كتابه القيم فى اللغة «العباب الذاخر» من ناحية اخرى. وقد وجد من المصادر المختلفة مائة، وسبع وثلاثون شعرا وقصيدة كاملة للصاغانى. وقد ذكر فى القصيدة حياته. وهى قصيدة عربية فى الهند، التى استعملت فيها الصنائع اللفظية والبدائع المعنوية من اللغة العربية. والقصيدة كلها تشتمل على الجناس.

والأمير خسرو ويعرف بمؤلفاته الكثيرة، ولم يكن له مثيل فى الصنائع واختراع المعانى والاسرار والنكت الغريبة البديعة ويتفرد الشعراء عامة فى فن أو فنين، ولكن الأمير خسرو فريد عصره فى كل قسم من اقسام الشعر وفى كل فن من فنونه وكان من خاصة عروش سبعة ملوك فى الهند ويحق أن يلقب بـ «ملك الشعراء» فى الهند، لمواهبه المتنوعة ومؤهلاته المختلفة فى شعره العربى ويوجد له فى «رسائل الاعجاز الخسروى» ستمائة وسبع وستون شعرا، وقد الف القصائد العربية ايضا.

كان قاضى عبد المقتدر الشريحى الدهلوى من أبلغ شعراء اللغة العربية وأدبائها، وقد ضاع ديوان شعره كله بغوائل الدهر وقد الف «لامية» على غرار «لامية العجم» للطغرائى وعرفت بلامية الهند وقد ذاع صيتها بين أدباء الهند وشعرائها لعذوبتها، وجمال الفاظها ودقة معانيها وحسن تنسقها وقد كتبت عليها هوامش كثيرة.

وكان شعر الشيخ احمد التهانيسرى طبيعيا، وقد قرض قصائد طويلة باللغة العربية ويحسن ذكر قصائده التى مدح بها النبى الكريم صلى الله عليه

وسلم ، ولكن مما يؤسف له أننا لم نعثر الا على قصيدة دالية واحدة ناقصة ، وهى نموذج حى لافكاره النيرة الساذجة ، واجتنبت فيها عن التعابير والتمثيلات القديمة البالية .

وقد ترك زين الدين المالاباري مولفات عديدة كتذكار له وكان يراسل الملوك والامراء بالنثر والنظم وقد ألف قصيدة بعنوان «تحريض اهل الايمان على جهاد عبدة الصلبان» ذكر فيها عن دخول البرتغاليين فى مالابار واضطهادهم للمسلمين ، وحث المسلمين الجهاد ، وقرض قصيدة فى التصوف بعنوان «هداية الاذكياء الى طريق الاولياء» التى اقتبست من كتاب البركة للوصالى ، وتحتوى على مائة وثمانين شعرا .

وذكر الشيخ عبد القادر الحضرمى اشعار المفتى قطب الدين النهروالى الكثيرة ، واعترف بملكته الشعرية وجمال تعبيره ، وقد عرف النهروالى العرب «بصناعة التعمية» .

والف الشاه احمد الشرعى الشنديرى قصيدة العلامة الزمخشرى التى لا يوجد فيها الا بيتان فحسب ، وقد برهن فضل بن جلال الكالبوى على فضله فى الادب العربى لقرض قصيدة فى مقابلة قصيدة معين الدين الطنطرانى وقد قدم محمد بن عبد العزيز الكالكتى نموذجا خاصا فى الشعر بقرضه ارجوزة تشتمل على خمسمائة بيت .

الطبقة الثالثة

ان هذه الطبقة[1] كالطبقات الاخرى هندية صميمة ولدوا ونشأوا ، وتعلموا فى الهند ، وابتعدوا عن البيئة العربية ، وتعلمت هذه الطبقة كالطبقات

(١) لم يبق اكثر شعر هذه الطبقة ، ولكن توجد نسخ من دواوين اصحاب الدواوين ما بين مخطوطة او مطبوعة فى كثير من مكتوبات الهند .

السابقة اللغة الفارسية قبل اللغة العربية وعلومها، وكانت لغة هذه الشعراء العربية ولكن اختلطت كثيرا بالعجمة ووقعت اخطاء لغوية كثيرة، وكانت بين هولاء الشعراء، السبع المعلقات، ديوان الحماسة، ديوان المتنبى، ديوان الحسان ولامية العجم، ولذلك يشاهد انسجام غريب يستاء منه فى كلام من البداية الى النهاية، وانشأ هذا التقليد الصناعة فى شعرهم الى حد ما، مع ذلك لهم مكانة بين الشعر العربى، ولو أن اسلوبهم يختلف كثيرا عن اساليب الشعراء العرب، وتوجد فيه اخطاء وعيوب، وقد عمت هذه الاخطاء فى عصرنا هذا. وقد بلغت حالة اللغة العربية التعسة فى عصور الضعف والاضطراب والفوضى الداخلى والسياسى للدولة العباسية الى حد أنه فى كتب السير والتذاكر فى القرن الثالث عشر الهجرى كثيرا ما نشاهد سير المحدثين والقضاة والعلماء، ولكن سير الادباء والشعراء فى الشعر والادب أقل بكثير من الشعراء المولدين، وذلك يبرهن على أن بعد سقوط السلطان العربى لم تعد اللغة العربية تحظى بتلك المكانة الرفيعة المرموقة كانت تحظى بها فى العصور الماضية، وسادت العجمة الى حد بأن اللغة العربية أخذت تنحسر عن الميدان وذلك يتتبع انحطاط الأمم وأوج رقيها، فاللغة تتقدم أو تتأخر حسب أمتها، لذلك لايستغرب اذا كان كلام الشعراء الهنود فى اللغة اقل من مستوى الشعراء العرب.

ويعثر على كلام الشعراء لهذه الطبقة اكثر بالنسبة للطبقات السابقة ولذلك يمكن أن يثبت بقوة ان هذا الشعر كانت فيه اقسام كثيرة متنوعة مختلفة من اقسام الشعر، ونشأت اقسام وألوان جديدة للشعر بتأثير من البيئات المحلية

كسهرا (قصائد عن العروس والعريس) ولكن توجد بين هؤلاء الشعراء شخصيات ممتازة عظيمة نالوا كل مدح وثناء من الاوساط العربية الادبية والعلمية، كالشيخ ولى الله الدهلوى وآزاد بلجرامى، وباقر آجاه، وفضل حق الخير آبادى والمفتى محمد عباس وعبد الجبار خان الآصفى والشيخ انورشاه الكشميرى، والشيخ ذوالفقار على الديوبندى، والشيخ ناصر حسين اللكهنوى، وغيرهم .

وبدأ الشغف باللغه العربية وآدابها فى عصرنا هذا، لعوامل تالية :

(١) قد تيسرت وسائل المراسلة بين الهند والبلدان العربية وازدادت الاواصر الثقافية بينهما وتوثقت اكثر من ذى قبل . وقد وثقت هذه الملاقات الثقافية المتنوعة، الاخوة الاسلامية والشغف الزائد لمعرفة أفكارهم ونظرياتهم وبدأت تصل بكثرة الجرائد والمجلات الشهرية من مصر والعراق والبلدان العربية الاخرى وعاون ذلك النهل من الادب العربى والشعر العربى على مواضيع جديدة وتنور بذلك الشعراء العربية هنا فى بلاد الهند.

(٢) وقد صدرت فى كثير من الاحيان مجلات مثل «النفع العظيم لاهل هذا الاقليم»، وشفاء الصدور، والبيان، والضياء، والجامعة، والرضوان وغيرها من المجلات والصحف العربية فى الهند .

وتصدر فى هذه الأيام «صحيفة الرائد» بكل اسبوعين، والمجلة الشهرية البعث الاسلامى من دار العلوم لندرة العلماء بلكهنو، وتصدر «دعوة الحق»

اربع مرات فى السنة من دارالعلوم بديوبند، ويصدر مجلس الهند للروابط الثقافية مجلة « ثقافة الهند» التى تحمل اليكم هذا المقال، وترسل هذه المجلات الى البلاد العربية ولذلك فتبذل الجهود ان تصدر على غرار من المجلات العربية وبهذه الجرائد والمجلات تأثير كبير فى الشغف باللغة العربية والتشويق لها، وانشاء الملكة فيها.

(٣) وقد انشئت النوادى والمجالس الادبية للغة والادب العربى، فقد تأسست فى لكهنو « بهجة الادب » كان يلقى فيها المشتغلون باللغة العربية مقالاتهم وأشعارهم وقصائدهم. ولايزال فى دارالعلوم ديوبند « نادية الادب » و « النادى العربى فى دارالعلوم لندوة العلماء بلكهنو، والنادى العربى بالجامعة الملية الاسلامية بدهلى، يخطب فيها الطلبة ويلقون مقالات يتمرنون بها على اللغة العربية، وتأسست « لجنة الادب » فى القسم العربى لجامعة عليجره.

وقد وضعت دارالعلوم لندوة العلماء لنشر اللغة العربية وانهاض الادب العربى فى الهند مناهج دراسية مستقلة عن المدارس الاخرى.

ويلقى خطب وقصائد باللغه العربية فى حفلات توزيع الشهادات لمعاهد عربية كبيرة وفى مناسبات اخرى، ولكن لايعنى باحتفاظها، وتذكر حينا فى تقارير تصدر من هذه المعاهد. وهذه العوامل والاسباب قد أحيت من جديد فى عصرنا هذا اللغة العربية وأنشأت ذوقا وشغفا كبيرا ونهمة واسعة باللغة العربية الكريمة فى الهند.

تعريب : الاستاذ محمد اجتباء الندوى